

الحوار غير المجدي مع الروافض حول مفترياتهم على الصحابة

■ أ. د. ناصر القفاري
gamra19822@gmail.com
@prof_algefari

ملأ الشيعة صفحات كتبهم بالطعن على الصحابة رضي الله عنهم، وعمّروا - بل خربوا - مجالسهم وحشَوا مصادرهم بالحديث عما يسمونه مثالب الصحابة، وهذه الظاهرة - أو قل: الحالة المرضية - أصبحت ملازمة لهم، لا ينفكون عنها بحال، حتى وصف العلامة موسى جار الله حالهم - وقد عاش بينهم ما يزيد على سنة - بقوله: «وأول كل حركة وكل عمل - أي عندهم - هو الصلاة على محمد وآل محمد، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم بزعمهم.. وهو عندهم أعرف معروف؛ يلتذ به الخطيب، ويفرح عنده السامع، وترتاح إليه الجماعة، ولا ترى في مجلس أثر ارتياح إلا أخذ الخطيب فيه، كأن الجماعة لا تسمع إلا إياه، أو لا تفهم غيره»[1].

(١) «الوشيعة» (ص ١٧).

وقد أجاب شـيخ الإســلام عما يثيره الروافض في هذا البــاب بجواب مفصل[١]، وبجــواب مجمل ملخصه ما يلي: أن المثالب التي تنقل عن الصحابة نوعان:

النوع الأول: ما هو كـذب؛ إما كذب كله، وإما محرف قد دخلــه من الزيــادة والنقصان ما يخرجه إلــى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابــون المعروفون بالكذب، مثل: أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن السائب الكلبي، وأمثالهما من الكذابين الذين شهد الأئمة بكذبهم وسقوط أخبارهم.

النــوع الثاني: ما هو صدق، وأكثر هــذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب.

ومــا قدر من هذه الأمور ذنباً محققــاً، فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وســوابقهم وكونهم من أهل الجنة؛ لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأســباب متعددة، منها: التوبة، ومنها: الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ومنها: المصائب المكفرة[٢].

ولهم وسائل خفية ماكرة في محاولة تشويه صورة الصحابة السامقة كشفها العلماء المحققون، ومنها: «أنهم ينقلون ما يدل على مطاعن الصحابة، وما يســتدل بــه على بطلان مذهب غيــر الرافضة عن كتاب يعزون تأليفه إلــى بعض كبراء أهل الســنّة، وذلك الكتاب لا يوجد تحت أديم السماء»[٣]. فهو اسم بلا مســمى، وكتاب لا وجود له إلا فــي خيالاتهم، اخترعوا له اســماً، وعزوه إلى إمام، ونسـبوا له مقالاتهــم الكاذبة، حتى يتوهــم الجاهل أو الغِرُّ، أو من لا يعرف ألاعيبهم؛ أنهم يوثقون مقالاتهم من مصادرها.

ذكر الألوسي والســويدي أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء الســنة مشــتملة على مطاعن فــي الصحابة وبطلان مذهب أهل الســنة[٤]، وهي من كذبهم وافترائهم، مثل: كتاب «ســر العالمين» الذي نسبوه للإمام الغزالي، وهو منه بريء، بل هو من وضعهم ولا تصح نسبته إليه ألبتة[٥].

وقد ينقلون أخباراً دالة علــى مطاعن الصحابة عن كتب عزيــزة الوجود لأهل الســنة ليس في تلك الكتــب منها أثر، والأردبيلي أكثر ما ينقل في «كشــف الغمــة» من هذا القبيل، وكذا الحلي في الألفين، وابن طــاووس، وغيرهم[٦]. ومكرهم وتلبيسهم في هذا الباب كثير[٧].

وعلى أي حال فلا يضيــر الصحابة طعون الروافض، بل يزيدهم شرفاً، كما قيل:

وإذا أتــتــك مــذمــتــي مــن نــاقــص
فــهــي الــشــهــادة لــي بــأنــي كــامــلُ

فالصحابة خير القرون، وصفوة هذه الأمة، وأفضل الناس بعد النبيــين، فهم أفضل جيل، وأقوم رعيل، قوم اختارهم الله لصحبــة نبيه، وتبليغ شــريعته، ولو لم يــأتِ الثناء عليهم في الكتاب والســنة، لكانت سيرتهم وهجرتهم ونصرتهم كافية في معرفة قدرهم وعظيم منزلتهم. قال الخطيب البغدادي: «على أنه لو لم يرد من الله عز وجل فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحــال التي كانوا عليها من الهجــرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين؛ القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم»[٨].

ومــن أصدق الكلمات في وصف حالهم قول ابن مســعود – رضي الله عنه –: «من كان منكم متأســياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمــة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً. قوم اختارهم الله تعالــى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهــم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[٩].

فحبهم وموالاتهــم والترضي عنهم من أوكد حقوقهم على الأمــة؛ لأنهم صحابة رســول الله ﷺ، وحمَلــة الدين، ونقلة الشــريعة، فهم أحبابه وأصحابه وأصهــاره وأنصاره، فالطعن فيهم طعن في رســول الله ﷺ، قال الإمــام مالك وغيره من

(١) انظر: «منهاج السنة» (٣/ ١٩) وما بعدها.
(٢) «منهاج السنة» (٣/ ١٩).
(٣) «مختصر الصواقع» (ص ٥١) (مخطوط). وانظر: «نقض عقائد الشيعة» (ص ٢٥) (مخطوط).
(٤) «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ٣٣)، وانظر: «نقض عقائد الشيعة» السويدي (ص ٢٥) (مخطوط).
(٥) وقد ذكر د/ عبد الرحمن بدوي أن ثلاثة من المستشرقين ذهبوا إلى القول بأن الكتاب منحول (جولد تسيهر، بويج، ومكدونلد). ويذهب عبد الرحمن بدوي إلى هذا الرأي ويقطع به ويحتج لذلك فيقول: «والأمر الذي يقطع بأن الكتاب ليس للغزالي هو ما ورد في ص ٨٢ من قوله: (أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبته يوسف بن علي شيخ الإسلام)، فإن المعري توفي سنة (٤٤٨هـ)، بينما ولد الغزالي سنة (٤٥٠هـ)، فكيف ينشده لنفسه؟!» (مؤلفات الغزالي ص ٢٧١).
(٦) «مختصر الصواقع» (ص ٥١) (مخطوط). وانظر: «نقض عقائد الشيعة» (ص ٢٥) (مخطوط).
(٧) انظر للمزيد: «مسألة التقريب» (١/ ٥٨) وما بعدها.
(٨) «الكفاية» (ص ٤٩)، وانظر مثل هذا المعنى في: «المواقف» للإيجي (ص ٤١٣).
(٩) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧)، و«الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥١٩).

أئمة العلم: «هؤلاء طعنوا في أصحاب رسـول الله ﷺ.. ليقول القائل: رجل سـوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[١].

والطعن فيهم طعـن في دين الأمة؛ لأنه وصلنا من طريقهم، قـال الإمام أبو زرعة الرازي - رحمه اللـه -: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسـول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنمـا أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[٢].

بـل إن الطعن فيهم قـدح في حكمة اللـه جل وعلا في اختيارهم لصحبة نبيه ﷺ وتبليغ شـريعته، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجـد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسـه، فابتعثه برسـالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العبـاد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه»[٣].

وقد حقق الله على يد الصحابة حفظ كتابه، ونشر سنته، وتبليغ دينه وشـريعته في مشـارق الأرض ومغاربها، فأقاموا حضـارة لم تعرف الدنيا لها مثيلاً، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سـعة الآخرة، وكسروا الأكاسرة، وهزموا القياصـرة، وأقاموا حضارة كبرى فـي مدة زمنية قصيرة، لم تعهد في تاريخ الشـعوب والأمم والحضارات، في ربع قرن من الزمان، مما لم يعرف في ماضي التاريخ ولا حديثه.

ولقـد رأيت في كثير مـن المنتديات والمواقـع والفضائيات والمكتبات، كمّاً كبيراً من الكتب التي ترد على الرافضة، وانشـغل رعيل من أهل السنة وصرفوا جل اهتمامهم إلى الرد على شبهات الروافـض حول الصحابة، وهي مواجهة مـع الروافض في غير ميدان؛ ذلك أن الروافض يثيرون هذه الشبهات لتحقيق أمرين:

الأول: إشغال أهل السـنة بهذه الشبهات حتى لا يتفرغوا لنقد كتبهم، ونصوصهم، ورجال رواياتهم.

الثانـي: إقناع الحائرين والمتشـكّكين مـن أهل طائفتهم بدعوى أن ما هم عليه من شذوذ - بزعمهم - هو موضع اتفاق بين السنة والشيعة.

وإثارة الشـيعة لهذه القضايا هو في حقيقة أمره تسـتر على السـبب الحقيقي لموقفهم من الصحابة، وهذا السبب هو الأصل الذي يقوم عليه دينهم، وتنبثق منه سـائر معتقداتهم[٤]، وبحسبك أن تعرف أن الصحابة رضوان الله عليهم لو كانوا في عصمـة من كل خطأ، وفي حرز مـن كل ذنب؛ لما رضي عنهم الإماميـة؛ لأن ذنب الصحابة عند هـؤلاء هو بيعتهم لأبي بكر دون علي، وكل ذنب يغتفر إلا هذا الأمر، كما أن من جاء بقراب الأرض خطايا ومعه جواز الولاية فقد نجا.

فقـد جاء أحدهم إلى إمامه يقـول: «إني أخالط الناس فيكثـر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقـوام يتولونكم (يعني الرافضة) ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق. قال: فاسـتوى أبو عبد الله جالساً فأقبل عليَّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولايـة إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء. قال: نعم»[٥].

ومهمـا كان عمل الصحابة الصالح وجهادهم العظيم، فلا وزن لذلك في دين الرافضة ولو جاؤوا بحسـنات كالجبال ولم يوقـف لهم على زلة؛ فلا يشـفع ذلك لهم حتـى يدينوا بدين «السـبئية الرافضة»، حتى زعموا أن اللـه قال - كما يفترون -: «يا محمد! لو أن عبداً يعبدني حتى ينقطع ويصير كالشَّـنِّ ثـم أتاني جاحداً لولايتهم، ما أسـكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشـي»[٦]. وادَّعوا أن رسـول الله ﷺ قال: «لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثـال الجبال، ولم يجئ بولاية علي بن أبـي طالب؛ لأكبه الله عز وجل بالنـار»[٧]، «ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سـبعين نبيّاً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي»[٨].

لأن العبادة عندهـم لا قبول لها إلا بالإيمان بولاية الاثني عشر، ففي «البحار» للمجلسي: «... لو أن عبداً عبد الله ألف سـنة وجاء بعمل اثنين وسـبعين نبيّاً، ما تقبـل الله منه حتى يعـرف ولايتنا أهل البيت، وإلا أكبـه الله على منخريه في نار جهنم»[٩].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٢٩).
(٢) «الكفاية في علم الرواية» (ص ٤٩).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (ح ٣٦٠٠)، والبزار (ح ١٨١٦)، والطبراني في «الأوسط» (ح ٣٦٠٢)، و«الكبير» (ح ٨٥٨٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.
(٤) انظر تفصيل ذلك في: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٦٥٣) وما بعدها.
(٥) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٥).
(٦) «بحار الأنوار» (٢٧/ ١٦٩).
(٧) «أمالي الطوسي» (١/ ٣١٤).
(٨) «بحار الأنوار» (٢٧/ ١٧٢).
(٩) «البحار» (٢٧/ ١٩٧).

وعقدوا في مصادرهم المعتمدة أبواباً في تقرير هذا المبدأ، مثل: «باب أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية»، وحشدوا فيه أكثر من سبعين رواية من مروياتهم التي وضعوها ونسبوها لبعض من يدّعون إمامتهم[1].

ولذلك؛ فإن مدار الدين وأصل الإيمان في اعتقادهم يقوم على إثبات إمامة الاثني عشر. لقد أدخل الإثنا عشرية الإيمان بالأئمة الاثني عشر في مسمى الإيمان، بل جعلوه هو الإيمان بعينه.

جاء في أصول الكافي: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، ثم ذكر بقية أركان الإسلام، ثم قال: «الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً»[2].

وهذا أشد غلوّاً في الإرجاء من اعتقاد المرجئة الغلاة الذين كفّرهم الأئمة، كأحمد ووكيع؛ لأن المرجئة الغلاة الإيمان عندهم هو معرفة الله، أما هؤلاء الروافض فالإيمان عندهم هو معرفة الإمام.

ويقولون إن الثواب في الآخرة ليس على الإسلام، إنما هو على الإيمان، وعقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان: «باب أن الإسلام يحقن به الدم وأن الثواب على الإيمان»[3].

ولهذا قال ابن المطهر الحلي: «إن مسألة الإمامة (إمامة الاثني عشر) هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن»[4].

وقال محمد جواد العاملي: «الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم، فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله»[5].

وقال أمير محمد القزويني (من شيوخهم المعاصرين): «إن من يكفر بولاية علي وإمامته - رضي الله عنه - فقد أسقط الإيمان من حسابه وأحبط بذلك عمله»[6].

فإذا كان هذا هو مقياس الإيمان عندهم، وميزان الحسنات والسيئات في اعتقادهم؛ فيخطئ من يحاور رافضيّاً

(١) «البحار»: (٢٧/١٦٦) وما بعدها.
(٢) «أصول الكافي» (٢/٢٤).
(٣) «أصول الكافي» (٢/٢٤).
(٤) «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» (ص ١).
(٥) «مفتاح الكرامة» (٢/٨٠).
(٦) «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» (ص ٢٤).

حول ما يسمونه «مثالب الصحابة» وما يفترونه في ذلك؛ لأن الصحابي لو لم يؤثر عنه زلة لم يكن عندهم إلا مشركاً كافراً؛ لأن مفهوم الكفر والشرك والظلم عندهم خلاف مفهومها الشرعي الذي جاء في الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

فمن يدَّعي أن له حقّاً في تولي الحكم على الأمة، فهو كافر وإن لم يحكم؛ ولذا قالوا: «من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»[7]، وأهلها هم الأئمة الاثنا عشر أو من ينوب عنهم من فقهاء الشيعة، وهذا تكفير لجميع حكام المسلمين من لدن أبي بكر - رضي الله عنه - إلى أن تقوم الساعة.

وقالوا أيضاً: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما[8] في الإسلام نصيباً»[9]. وهذا تكفير للحكام والمحكومين ولجميع المسلمين.

وقال شيخهم ابن بابويه القمي صاحب «من لا يحضره الفقيه»[10] في كتابه «الاعتقادات» الذي يسمونه «دين الإمامية»: «فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون، وقال النبي - صلى الله عليه وآله -: من جحد عليّاً إمامته من بعدي فإنما جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد ربوبيته. وقال الصادق: من شك في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر».

وقال عالمهم نعمة الله الجزائري: «لم نجتمع معهم - الأشاعرة ومتابعوهم - على إله ولا على نبي ولا على إمام؛ وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[11].

وقال مفيدهم: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة؛ فهو كافر ضالٌّ مستحق للخلود في النار»[12].

(٧) «الكافي»، كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، (١/٣٧٢).
(٨) يعنون بهما اللذين أقاما دولة الإسلام بعد النبي ونشرا دينه، الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر.
(٩) «الكافي» (١/٣٧٣)، وانظر: «تفسير العياشي» (١/١٧٨)، و«تفسير البرهان» (١/٢٩٣)، و«البحار» (٨/٢١٨).
(١٠) أحد كتبهم الأربعة المعتمدة عندهم في تلقي المذهب. انظر للتفصيل: «أصول مذهب الشيعة» (١/٣٥٤) وما بعدها.
(١١) «الأنوار النعمانية» (٢/٢٧٩).
(١٢) «المسائل» عن «البحار» (٨/٣٦٦).

وقــال: «اتفقت الإماميــة على أن أصحــاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يســتتيبهم عنــد التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهــم، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على ذلك فهو من أهل النار»(١).

وقال شــيخهم الطوســي: «ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حد واحد»(٢).

وقال المجلسي: «وقد وردت أخبار متواترة أنه لا يقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية»(٣).

ورواياتهم وأقوال شــيوخهم في هذا الباب كثيرة؛ لأن هذا هو دينهم وعمدة اعتقادهم، وهو أساس الحكم على الآخرين؛ فمن آمــن بالولاية فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن كفر بها فهم - في مقاييس هؤلاء - في جهنم خالدون، فقد وضع هؤلاء دين الولاية للأئمة موضع العبادة لله الذي هو أصل دين الرســل، وأســاس دعوتهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُــولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّــهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُــولاً أَنِ اعْبُــدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال رســول الله ﷺ لمعاذ - رضي الله عنه - لما بعثه إلى اليمــن: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»(٤).

وقال شــيخ الإســلام ابن تيمية في الرد على ابن المطهر الحلــي في دعوى أن الإمامة هي مدار الإيمان: «فقد قال الله تعالــى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِــمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِــمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّــلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِــكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَــاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، فشــهد لهؤلاء بالإيمان من غير ذكر للإمامة.

وقــال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُــولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجــرات: ١٥]، فجعلهــم صادقين في الإيمــان من غير ذكر للإمامة.

وقــال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِــرَّ أَن تُوَلُّــوا وُجُوهَكُمْ قِبَــلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَــنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّــينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَــاكِينَ وَابْنَ السَّــبِيلِ وَالسَّــائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَــامَ الصَّلاةَ وَآتَى الــزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَــاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِيــنَ صَدَقُــوا وَأُوْلَئِكَ هُــمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقــرة: ١٧٧]، ولم يذكر الإمامة.

وقال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِيــنَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُــونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِــمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٥]، فجعلهم مهتدين مفلحين، ولم يذكر الإمامة.

وأيضــاً: فنحن نعلم بالاضطرار مــن دين محمد بن عبد الله ﷺ أن الناس كانوا إذا أســلموا لم يجعل إيمانهم موقوفاً على معرفة الإمامة، ولم يذكر لهم شيئاً من ذلك، وما كان أحد أركان الإيمان لا بد أن يبيّنه الرسول لأهل الإيمان ليحصل لهم به الإيمان، فإذا علم بالاضطرار أن هذا مما لم يكن الرســول يشــترطه في الإيمان علم أن اشــتراطه في الإيمان من أقوال أهل البهتان»(٥).

ولذلك؛ فإن الأصل في الحوار معهم حول الصحابة ينبغي أن يتوجــه ابتداء إلى هذا الأصل الخرافــي الذي يقوم عليه دينهم (الإمامة)، وقد تنبّه إلى هــذه الحقيقة المهمة القاضي عبد الجبار المعتزلي فقال: «وكثيراً تسأل الإمامية عما كان من عثمــان في تولية أقاربه وغير ذلك، وفي ســير طلحة والزبير وعائشــة إلى البصرة، وما ذاك إلا لضعفهم وانقطاعهم؛ لأن عثمان لو لم يولِّ أقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافراً مشــركاً عندهــم بادّعائه الإمامة لنفســه ولأبي بكــر وعمر، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر أمير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشــركين باعتقادهم إمامــة أبي بكر وعمر وعثمــان رضي الله عنهم، فمن يكلم الإمامية في إثارتهم لهذه المســائل كمن يكلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، أو يكلم النصارى في اســتحلالهم الخمر، وإنما يكلم في هذا من قال: لا ذنــب لعثمان إلا ما أتاه من الحمــى، وتولية الأقارب، ولولا ذلك لكان مثل عمر، ومن قال: لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مســيرهم إلى البصرة، ولولا ذلك لكانــوا مثل أبي عبيدة وعبد الرحمن وابن مسعود. فاعرف هذا ولا تكلمهم فيه ألبتة، وكلمهم فيما يدعونه من النص فهو الأصل»(٦).

(١) «أوائل المقالات» (ص ٥٣)، وانظر: «البحار» (٨/ ٣٦٦).
(٢) «تلخيص الشافي» (٤/ ١٣١)، وانظر: «البحار» (٨/ ٣٦٨).
(٣) «البحار» (٨/ ٣٦٩).
(٤) أخرجه البخاري ح (١٤٥٨)، ومسلم ح (١٩).
(٥) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٠٨-١٠٩).
(٦) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ٢٩٤).